69 - 85 ; A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 1 : 102 - 104.

حسن الفكيكي

التمسماني، أسَر تطوانية متعددة يرجع أصلها جميعا إلى قبيلة تمسمان الكرتية، ومازالت موجودة بتطوان حيث احتفظ بعضها بنفس الاسم في حين أن البعض الآخر عاد إلى استعمال الاسم الذي كان قبل انتقالها لتطوان، ونذكر من بين هذه الأسر الأخيرة أسرة اليعقوبي والبهيوي وابطيو والحمامي وأولاد حدّو.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán*, 1921 (T) ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo*, 1929 (T).

محمد ابن عزوز حكيم

التمسماني، إبراهيم بن عيسى بن الشيخ أبي داود مزاحم آتي الترجمة. ولد عام 560 هـ بجماعة بني ورتّردْ المستقرة حول جبل الحديد (اليوم بني أبي داود، فرقة تروگوت). نشأ تحت كفالة جده، إثر وفاة أبيه في سن مبكرة، وعنه درس وتلقى أصول ومبادئ التصوف، مما جعله مؤهلا عن سن ثمان عشرة للقيام بشؤون الرابطة، ابتداء من وفاة أبي داود سنة 578 هـ.

نعرف أخبار الحاج إبراهيم مما قصه حفيده عبد الرزاق، على عبد الحق البادسي، صاحب *المقصد الشريف*. فعلاوة على ما سار عليه اقتداءً بنهج جده، من رعاية الرابطة والقيام بشؤونها الدينية، يمكن لنا التعرف على بعض أخبار فرقة تروگوت، مما له علاقة بصاحب الترجمة.

نعلم أن ساحل تغلال، ومعه رابطة أبي داود، كان معرضًا للغارات القرصنية الأروبية وما كان يترتب عنها من أسر السكان. فأبو داود لم ينج هو نفسه من الأسر. وهذا كان حظ الحاج إبراهيم أيضا وذلك قبل 635 هـ. إذ أنه بقي في الأسر أقل من ثلاث سنوات، دون أن نعرف التفاصيل، خاصة عن طريقة افتدائه.

وربما كانت جماعة القراصنة التي أسرته، هي نفسها التي اقتحمت منزله الذي بناه بإزاء الرابطة، لنهب ما كان بداخله من ودائع بني ورتردْ الذين اضطرتهم المجاعة الشديدة لمغادرة مواطنهم إلى جهات أخرى. تمت تلك الغارة أثناء غياب الحاج إبراهيم في أسره.

ووصل إلينا من ضمن أخبار بني مرين وحلفائهم بني وطاس، من خلال ترجمة الحاج إبراهيم ما لم يصلنا من جهات أخرى. فالمرينيون بعد تمركزهم بقلعة تازوطا منذ عام 610 هـ (*معلمة المغرب*، ج. 6) واحتلالهم لتازا وفاس تركوا بوادي الريف الشرقي وضواحي أمصاره إقطاعا للوطاسيين وجباية لهم. قدم هؤلاء قبل سنة 635 هـ إلى بني ورترد لإرغامهم على أداء ما تخلد بذمتهم من المغرم. فما كان على الوطاسيين سوى الالتجاء إلى نفوذ صاحب رابطة أبي داود الحاج إبراهيم للقيام بدور الوساطة واقناع بني ورترد للنزول من معقلهم الساحلي. وهي المهمة التي توجه إليها صاحب الترجمة متثاقلا، وعاد منها بالفشل. وفيما يقرب من تلك السنة عاد ياسين بن الوزير الوطاسي إلى تروگوت في نطاق تفقد قبائل حوض النكور الأدنى، وكان من ذلك، الزيارة التي قام بها الحاج إبراهيم في سنة كانت المجاعة لاتزال على أشدها.

ولن نغفل الحديث عن المجاعة التي تعرضت لها بلاد الريف بسبب سوء المواسم الفلاحية المتوالية، ظهر آثارها ببني ورترد في آخر حياة الحاج إبراهيم. فقد كثرت الرواية عن تقشفه لمكافحة الفاقة. ولا أدل على ذلك من التجاء أهل جماعته إلى الهجرة، بل إلى بيع الأبناء للزائرين من الأوروبيين لساحل تغلال، مما أدى به هو نفسه بالهجرة إلى داخل تمسمان.

كان الحاج إبراهيم قد عزم في السنوات الأخيرة من حياته على الانتقال من منزله الكائن بجوار الرابطة، نتيجة المجاعة وانعدام الأمن بالساحل المعرض للغارات القرصنية. اختار الانتقال إلى سكنى فرقة بني تعبان التمسمانية الواقعة شمال مصب واد تمسمان (واد أمقران)، بعد أن وهب له أحد صالحي مدشر أروجن قطعة أرض فلاحية، بجوار الواد الذي لا يزال حاملا لنفس الاسم، وقرية أبو معاد الحالية. وحينما أدركته الوفاة بالرابطة، على ما يبدو من سياق حديث البادسي أوصى بنقل جثمانه إلى مقر سكناه الجديد. كانت وفاته سنة 650 هـ. ولايزال قبر الحاج إبراهيم بنفس المكان قائما إلى اليوم، بارز القبة.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 52 ـ 59 ـ 60 ـ 62 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 30 ؛ خريطة طبوغرافية 1935.

التمسماني، أحمد دادوش، قائد مخزني من فرقة بني مرغنين التمسمانية، كان عام 1298 / 1880 قد قضى عدة سنوات في قيادته على الجماعات المستقرة على واد تمسمان المندمجة في ثلاث فرق : بني مرغنين المستقرة على الضفة اليمنى من حوض واد تمسمان الأدنى، وبني تعبان التي تقابلها على الضفة اليسرى، ثم فرقة الفوقي الموزعة على الحوض الأوسط من نفس الواد. ونعتقد أنه القائد الأول الذي تحمل المسؤولية بالقبيلة في ظل التنظيم الإداري الجديد المستحدث على عهد الحسن الأول سنتي 1291 ـ 1292 / 1873 ـ 1874 بالنسبة للريف الشرقي.

قضى أحمد دادوش السنوات الأخيرة من حكمه في خلاف مع أهل جماعة إعَوادَن التي سعت إلى تعيين الطالب الحاج محمد بن عبد السلام أميناً مكلفاً بالاشراف على التنظيم المالي للقيادة. ويصور هذا الخلاف ما كتب به الأمين إلى الحسن الأول، حسبما يظهر من الجواب السلطاني: "الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني، وصل كتابك مخبراً بأن خديمنا دادوش حرك لإخوانك في مدة غيبتك بشريف حضرتنا وأخذ منهم مائة ريال، ثم حاز من إخوانك إعَوادن مائتين ريالا ظلماً وتعدياً، زيادة على هدم دورهم. كما وظف على القبيلة مونة وهدية، وطلبت أن يحاز منه ذلك...".

لكن المشكل الأساسي هو الذي ترتب عن اتهام السلطان بتهاون أحمد دادوش في ضبط التهريب، ليس فقط بالنسبة لحراسة مرسى سيدي إدريس التابعة لبني مرغنين، والواقعة بمصب واد تمسمان، ولكن بالنسبة لمتابعة المشتغلين بالتهريب في المراسي المجاورة، مثل مرسى سيدي حساين (أفراو الحالية) الواقعة بمصب واد سيدي حساين في ملتقى حد بني سعيد وبني وليشك. ومرسى أبي داود بأرض بني بويدير التمسمانية. هذا هو ما حدث حينما جلب اثنان من مواطنيه مائة واثنى عشر برميلا من زيت الگاز إلى مرسى سيدي حساين وتباطأ دادوش في القبض عليهما. ومن أجل ذلك كتب إليه الحسن الأول : "القائد أحمد دادوش التمسماني فقد تحقق لدينا من عدة طرق أن الغديوي (بوشعيب بن ميلود) عندك، وأنك آويته مع أننا كنا أمرنا بالبحث عنه، لما هو مشتغل به من أمور الكنطربانض وغيرها. وعليه فبوصوله إليك اقبض عليه ووجهه واصلا لحضرتنا الشريفة... وإلا كنت مؤاخذاً به وبجرائمه. في 12 صفر 1301". وازداد تأزم علاقاته بالمخزن خلال الأشهر التالية إلى أن تم عزله وصدر الأمر بالقبض عليه ومحاسبته على متروكه في 18 حجة السنة. والظاهر أنه اكتفى في هذه المرة الأولى بعزله، إلا أن الشكايات الواردة على البلاط الحسني وعدم امتثاله لتسليم ما بيده من متاع المخزن أدى إلى القبض عليه في 13 صفر 1306، ليضاف إلى أخيه المسجون بمكناس وأحد أبنائه وصهره المحبوسين بمراكش. ثم بيعت أمتعته على يد خلفه القائد شعيب بن حمٍّ التمسماني.

وثائق مخزنية، كناش خ. ح. 348، ص. 87 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

التمسماني، أحمد بن **محمد** بن عبدالله البيديري، تم اختياره من طرف أعيان خمس بني بيدير إثر مقتل والده، حسب رسالة مؤرخة في 15 قعدة 1304، وتسلم تعيينه المؤرخ بتاسع ذي الحجة من نفس السنة. اشتغل باله منذ البداية بمتابعة قاتل أبيه محمد بن حم التمسماني إلى أن توصل لمقصده. وعادت في وقته مسألة النزاع على الحدود بين خمسي بني بيدير وتروگوت، على مدشر "الحديد" الواقع عند مصب واد الحديد من الجانب الشرقي لساحل خليج المزمة، بجوار مرسى أبي داود. والنزاع بين الفرقتين على المدشر قديم بدأ بين القائد الحاج بوعزة التروگوتي والحاج محمد بن عبد الله البيديري، وتجدد بين علال بن بوعزة وأحمد بن أحمد. ومن أجل فض النزاع كلف السلطان مولاي عثمان رئيس المحلة المتوجهة للريف في ذي القعدة عام 1309. وبذلك رد المدشر إلى تروگوت، بناء على سابق الانتماء. ويعد هذا التاريخ آخر علمنا به وباستمراره في قيادته.

وثائق مخزنية، كناش خ. ح. 166، ص. 21ـ35 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

التمسماني، إسماعيل بن سيد الناس البطوئي، من فرقة الفوقي، خمس تمسمان، ومن مدشر بني عيسى الكائن بجوار واد العيون، الذي ينتهي إلى الضفة اليسرى من واد أمقران، وعلى السفح الجنوبي من كدية بني بويعقوب. والشيخ إسماعيل تلميذ أبي داود، استقر بعد وفاة شيخه بالموضع المعروف بتازروت من مدشره، وبه قضى مدة حياته، نقل عنه البادسي جملة من أوصاف الصلاح حافظ عليها إلى وفاته.

ع. البادسي، *المقصد*، 85 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90 ؛ خريطة طبوغرافية، 1935.

التمسماني، بوعزة التروگوتي، هو أول من نعرف من قواد تروگوت على عهد الحسن الأول، وذلك منذ ما قبل 1297. وفي هذه السنة كان قد توفي ليخلفه ابنه محمد. تولى على فرقة تروگوت الكائنة بالقسم الجنوبي الغربي من حدود تمسمان، بين واد النكور وفرقتي بني بيدير والربع الفوقاني التمسمانيين، إلى جانب خمس بني عكي التوزاني. تنتمي أسرته إلى جماعة بني أبي داود، داره مشرفة على المرسى المعروفة بنفس الاسم. وفي عهده أثير الخلاف بين تروگوت وبني بيدير المجاورة للفصل في الجهة التي ينتمي إليها مدشر "الحديد"، الواقع عند مصب واد الحديد بساحل شرق خليج المزمة. فبعد الاحتكام إلى الحسن الأول رُد المدشر إلى حدود تروگوت. وقد ترك بوعزة التمسماني ثلاثة أبناء ممن نعرف، اثنان منهم ورثا منصب القيادة على تروگوت، وهما على التوالي محمد وعلال.

ضابط الأمور الوطنية، 90 ؛ *وثائق مخزنية*.

التمسماني، حمادي البُيْديري، أول من نعرف من قواد بني بيدير إثر توزيع تمسمان إلى قيادات، متمثلة في الأخماس. فكان خمس بني بيدير من نصيبه. ولدينا وثيقة واحدة مؤرخة في 14 ذي القعدة 1293، أبلغه فيها الحسن الأول توصيته لصالح شرفاء أولاد لقمان المستقرين بقرية "إيجار أُقَضيس"، الواقع على الجانب الغربي من جبل الحديد. وكانَ هؤلاء قد انتقلوا إليها من قرية تزوغت ببني ورياغل. بقي في منصبه إلى أن خلفه محمد بن حمٍّ البيديري حوالي 1298 / 1880.

وثائق خ. ح. بالرباط.

التمسماني، شعيب بن حم بن الطاهر، من فرقة "الربع الفوقاني" ومدشر "عين كثير" الواقع بجوار خميس بودينار شرقاً. تولى القيادة خلفاً لأحمد دادوش التمسماني على فرق بني مرغنين وبني تعبان والربع الفوقاني. تَمَّ تنصيبه على يد رئيس المحلة محمد الأمراني تبعاً للرسالة السلطانية المؤرخة في 18 حجة عام 1301. كُلف كسابقه بتشديد المراقبة على التهريب من مرسى سيدي إدريس

الواقعة بمصب واد تمسمان ومتابعة المشتغلين به من التمسمانيين، مما كان من لوازمه حيازة ما تبقى من أملاك المخزن بيد أحمد دادوش وبيعه، مثلما جرت به العادة إثر وفاة القائد أو عزله. بقي هذا المشكل قائما إلى أن تم له القبض على دادوش عام 1306 وكعادة عمال الريف مع أمناء الفرق والجماعات الداخلة تحت حكمهم، فإن الخلاف كان على أشده مع الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني المتولي منذ 1300. ويصور هذا الخلاف ما ذكره الأمين في شوال 1304 : "إن القائد شعيب أمر إخوانه بقتل رجل من الربع الفوقاني، فوقع البارود، فقمت بترقيع ما خرق. طلبت القائد شعيب التمسماني بإعطاء الحق لأرباب الدم، فأبى كإخوانه.. غير أنه لم يرض بحضوري معه عند قبض مال سيدنا. لم يرض بما أمرني به سيدي من الحضور معه عند الفرض وعند القبض...". ونجهل الأسباب التي عجلت بإصدار أمر القبض عليه لكبير المحلة مبارك بن الطاهر الرحماني في 9 شوال عام 1306. وإسناد حكم الفرق الثلاث إلى قائد فرقة "تروگوت" علال بن ج بوعزة التمسماني. غير أن القائد شعيب سيعود إلى الحكم مرة ثانية بطلب من أهل الفرق ومساندة الأمين حسب وثيقة مؤرخة في فاتح جمادى الأولى عام 1309. وبعد ذلك تختفي عنا أخباره.

وثائق مخزنية ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

حسن الفكيكي

التمسماني، العربي بن محمد الطنجي. انتقل جده الفقيه أحمد من قبيلة تمسمان بالريف في جملة المجاهدين الذين فتحوا طنجة وطردوا الأنجليز منها عام 1095 / 1682، فسمى أحمد التمسماني قاضيا بالمدينة المحررة إلى أن توفي بها فغدت دار مقام عقبه حتى الآن.

ولد العربي التمسماني بطنجة في فاتح شوال عام 1299 / 16 غشت 1882 وبها حفظ القرآن الكريم في كتّاب الأستاذ العربي بن عبد الكريم المدور الطنجي بجوار الجامع الجديد من حومة الشرفاء بطنجة، ودرس مبادئ العلوم الشرعية واللغوية على الأخوين محمد ومَحمد الغماريين، وعلى الفقهاء الوافدين على طنجة لتقلد مناصب القضاء كعبد السلام الهواري ومحمد بن أحمد الهواري وعبد السلام العلوي ومحمد زويتن وغيرهم. ثم درّس في الجامع الكبير بطنجة وخطب فيه، وانتصب للشهادة في سماط العدول، وشغل عدة وظائف إدارية وشرعية. كان كاتب اللجنة المكلفة بتتميم أشغال مؤتمر الجزيرة الخضراء بطنجة (24. 6 . 1908 / 1326) ثم عدلا بالمرسى فقاضيا شرعيا بطنجة، فباشا المدينة. وله كتاب *التنويه بقدر النبي الكريم في آي الذكر الحكيم* ؛ ومجموع *خطب الجمع والأعياد* ؛ *وأشعار* في أغراض شتى لم تجمع في ديوان.

توفي بمسقط رأسه ليلة الثلاثاء سادس شوال عام 1389 / 16 دجنبر 1969 ودفن بضريح سيدي بوعراقية.

م. ابن الحاج، *إسعاف*، 465 ـ 468.

محمد حجي

التمسماني، علال بن بوعزة التروگوتي، تولى القيادة بفرقة تروگوت إثر مقتل أخيه محمد قبل 11 ربيع الثاني عام 1309. ووصول الإعلام بذلك إلى الحسن الأول، ففي جمادى الثانية من نفس السنة تم استدعاؤه إلى فاس، وآنذاك كان قد قضى وقتاً يسيراً في مهمته الجديدة. وقد تجدد النزاع بينه وبين أحمد بن محمد بن عبد الله البيديري على مدشر "الحديد" الواقع على مقربة من مصب الواد المعروف بنفس الاسم، مشرف من شرق ساحل خليج المزمة، حسبما كلف به السلطان رئيس المحلة المتوجهة إلى الريف مولاي عثمان : "... وعليه فنامرك أن تطالع مكاتب ولايتهم، ومن وجد تهم عنده أقر عليهم وكف الآخر. 5 قعدة 1309". وقد شهد لصالح القائد التروگوتي العربي الوليشكي، قائد بني وليشك. ويمكن تعقب أخبار القائد علال خلال السنوات التالية إلى عام 1315 / 1897 حينما علمنا أن الواجبات المخزنية المفروضة على تروگوت قد ارتفعت إلى 2.200 ريال.

وثائق مخزنية، *كناش*، 195 و199 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

التمسماني، عمر بن حدّو. أضافت إليه بعض المصادر نسب الريفي. وهو من أولاد حمامة التمسمانيين الذين عينا موقع جماعتهم في ترجمة التمسماني عمر بن محمد الآتية، مثله مثل أخيه التمسماني أحمد بن حدّو، سابق الترجمة (البطوئي أحمد، *المعلمة*، 4 : 1272)، وابن عمهما علي بن عبد الله، وابن هذا الأخير أحمد بن علي المعروفين بالريفي.

انخرط عمر بن حدّو بالجيش الرشيدي في جملة أولاد حمامة الذين تحت رئاسة الشيخ عمر بن محمد، ولم يبرز إلا في عهد المولى إسماعيل، ابتداء من المشاركة في حصار فاس ومطاردة كل من أحمد بن محرز عن تازا، والخضر غيلان من إقليم الهبط. وبمجرد مقتل هذا الأخير عينه السلطان عاملا على المنطقة الواقعة بين طنجة والقصر الكبير، أي ما كان معروفاً آنذاك بالفحص والهبط الأصلي. تم ذلك التعيين في عام 1084 / 1679، حسبما سجله عبد الكريم الريفي في زهر الأكم. ساعده عن قرب أخوه وخليفته أحمد بن حدّو، وبحوز تطوان ابن عمه علي بن عبدالله. قاعدة ولايته مدينة القصر الكبير.

ظهرت المهمة الرئيسية التي ألقاها المولى إسماعيل على عاتق عمر بن حدّو منذ بداية ولايته. تمثلت تلك المهمة في العمل على استعادة مدينة طنجة من قبضة الأنجليز. وإن لم يتحقق له ذلك فقد واتته الفرصة لاسترجاع المعمورة من يد الإسبان. وحينما عين القائد التمسماني عاملا على إقليم الغرب كله، ونائب السلطان به، اهتم بمشاكل مراسي الثغور الساحلية الواقعة بين طنجة وسلا.

1) صرف عمر بن حدّو معظم جهوده ضد طنجة منذ توليته إلى أن باغتته الوفاة يوم 18 رمضان 1092 / 2 نوفمبر 1681، أثناء زيارته لمدينة مكناس. كانت المدينة المحتلة من

طرف البرتغال (869 / 1471) قد انتقلت إلى الوصاية الإسبانية. وحينما استعادها البرتغاليون حولوها إلى النفوذ الإنجليزي منذ 25 جمادى الأولى 1072 / 16 يناير 1662، على عهد قائد الهبط الخضر غيلان. ومنذ ذلك شرعوا في بناء سلسلة من التحصينات وتشييد الأبراج الخارجية، مستغلين الظروف التي عاشتها البلاد مع بداية الدولة العلوية، وحرب المولى رشيد للرايس غيلان منذ سنة 1077 / 1666.

كان الأنجليز متحصنين بالمدينة وقصبتها، ولكنهم كانوا في حاجة إلى مجال أمني خارجي أوسع من جهتي الغرب والجنوب، فأقبلوا على إحداث سلسلة من الحواجز متصلة بالأبراج الخارجية، بامتدادها على شكل شبه دائري حول المدينة، ابتداء من الجرف الشمالي الساحلي المشرف على مياه المضيق إلى ساحل خليج طنجة، جنوب المدينة. هذا الستار الخارجي هو الذي سمح لهم بالتجول داخل مساحة تبعد عن أسوار المدينة بنصف فرسخ كمقياس متوسط، حسب تقدير المصادر المعاصرة.

وقد ساعد تضرس السطح حول مدينة طنجة لإنشاء تلك الأبراج على التلال البارزة بالجهتين الغربية والجنوبية. وهناك رسمان معاصران للعمليات الجهادية التي قادها عمر ابن حدّو، يوضحان توزيع تلك الأبراج ومواقعها، إلى جانب المواقع المغربية المجاورة لها. ولا يقل عدد تلك الأبراج عن ثلاثة عشر برجاً، أغلبها مجاور بمحطة للمراقبة ومركز الإغاثة.

أمام هذه الكثافة من التحصينات الخارجية المحدثة خلال أمد قصير أصبح من المستحيل تحقيق الأمل الذي راود المولى إسماعيل في شأن تحرير المدينة من الاحتلال الأجنبي. لذلك كانت مهمة القائد عمر بن حدّو منحصرة في التمكن من هدم تلك الأبراج، وهي نفس السياسة التي كلف بها السلطان قائده بقلعية محمد بن مسعود القيطوني، تجاه أبراج مليلة، في نفس الفترة.

تتلخص خطة القائد عمر بن حدّو لهدم الأبراج أو اقتحامها في عزلها كخطوة أولى عن المدينة، بواسطة حفر الخنادق، وصل عمق بعضها إلى إثني عشر قدماً، أي أربعة أمتار. وشرع المغاربة كخطوة ثانية في حفر الأنفاق الباطنية في اتجاه أساس الأبراج، ليتسنى بعد ذلك تفجيرها بواسطة قارورة مشحونة بالبارود. وتتم عملية التفجير عادة عند الغروب، وآنذاك يكون المجاهدون على استعداد لتنظيم هجوم عام على البرج المحاصر، إذا لم يلعن المتحصنون استسلامهم. وقد اعتاد عمر بن حدّو توجيه الدعوة إلى حاكم طنجة لإرسال من ينوب عنه للتأكد من العمليات الحربية المعدة ضد الأبراج، قصد التأثير عليه وإرغامه على الاستسلام.

وتألفت قوات المجاهدين الذين تحت إمرة القائد عمر بن حدّو من فيلق دائم يشكله أهل الريف، يضيف إليه السلطان متى دعت الضرورة إلى ذلك فيلقاً آخر من عبيد البخاري. وأكبر قوات المجاهدين تكونت مما كان يصل من متطوعة فاس ومكناس وسلا والقصر الكبير وتطوان، عامتها وشرفائها وفقهائها ورجال الزوايا، إلى جانب المستجيبين لنداء الجهاد من إقليمي الغرب والهبط. ولذلك أخبرت المصادر الأجنبية بتعبئة ما تراوح بين ثمانية وعشرة آلاف مجاهد.

أشعرنا مويت Mouette أن القائد عمر بن حدو كان في جمادى الثانية عام 1085 / شتنبر 1674 قد شرع في الضغط على ميدان طنجة، مما دفع بحاكم المدينة ويت Whet إلى الوفادة على فاس لطلب الهدنة، وبرفقته عدد من أسرى مدينة سلا، كانوا قد وقعوا في أسر إحدى السفن الأنجليزية. تلك الهدنة التي عارضها بشدة أحد كبار الفقهاء، مما أدى إلى فشلها.

ويعود علمنا بأولى الحركات الجهادية، إلى ما أخبرنا به مويت Mouette في مذكراته عن تاريخ المولى إسماعيل، وما أكده رويت Routh في مؤلفه عن طنجة، وكلاهما أخبر أن القائد عمر بن حدو حاصر برجين هما : كندال Kendal وهنْريتا Henrietta وذلك ما بين 6 و16 يناير 1678، مما يوافق 13 و25 ذي القعدة من عام 1089. والبرجان المذكوران ظاهران بالرسم تحت رقمي 24 و31 في آخر خط الأبراج الغربية المقابلة لوادي اليهود، يتوسطهما حصن مرشان أو "شارل".

اختار المجاهدون المساحة التلية الواقعة غرب ظهر مرشان، ميداناً لتحركاتهم بين ما يسمى آنذاك بالوادي الكبير وواد اليهود، لتنظيم هجوماتهم على البرجين. وقد عاد عمر بن حدّو من هذه الغزوة بأول انتصار على الإنجليز، حين تمكن من إجلائهم عن البرجين، وأسر عشر من الجنود، والحصول على قطعة مدفعية برونزية. وكل ذلك بفضل المدفع الذي جلبه إلى الميدان.

هذا هو الانتصار الذي استحق به القائد عمر تقدير المولى إسماعيل وتسميته عاملا للغرب كله ونائبه به. ولهذا التعيين معناه في المجال الديبلوماسي، وفوق ذلك فإنه عد أكبر مشجع على متابعة خطة الجهاد.

فقبل شوال عام 1090 / نوفبر 1679 نظم القائد حملته الثانية على أبراج طنجة، بعد وصول تعبئة جاءته من فاس ومكناس وسلا للانضمام إلى ما تهيأ جمعه من القصر الكبير وتطوان ومن إقليم الغرب. عاد من تلك الغزوة التي نجهل بعض تفاصيلها بثمانية عشر أسيراً، وقطعة مدفعية برونزية أخرى.

وعلمنا من وقائع الحملة الثالثة التي انتهت يوم 16 شوال 1090 / 20 نوفمبر 1679 بحصار المجاهدين وهدمهم لأبراج آن Anne ومُونْمُوثْ Montmouth وجيم Jaime. وكلها من الأبراج الجنوبية المتقدمة، تظهر بالرسم تحت أرقام 29 و21 و31 على التوالي. ووجدت آنذاك المواقع المغربية متحصنة بشعاب الضفة اليسرى من واد العين.

وفي أغلب الاعتقاد أن تعليمات المولى إسماعيل إلى القائد عمر أثناء الإعداد للحملة الرابعة، حثته على السعي

لاحتلال أكبر تحصينات طنجة الواقعة بالميدان الخارجي، يدعوها الإنجليز حصن شارل Charles، نسبة إلى الملك شارل الثاني وسماه عبد الكريم بن موسى الريفي قصبة مرشان وهو واقع في الحد الغربي من هضبة مرشان، مما يقابل باب قصبة المدينة على بعد منه بنحو 660 م. يعلو بناؤه الضخم بالكدية المشرفة على الحوض الأوسط من وادي واد اليهود، مربع الشكل، تبرز من زواياه الأربع أبراج صغيرة تطل منها أفواه المدافع. ويتسع لنحو مائتي جندي وعشرين قطعة مدفعية. أشير إليه في الرسم برقم 28.

هذه هي المهمة التي ساقت عمر بن حدو إلى قيادة حملة رابعة لمحاصرة الحصن. بعد أن أمده السلطان بثمانية آلاف محارب من عبيد البخاري، ونعرف بعض التفاصيل عن هذه الغزوة مما قدمته المصادر الأجنبية.

صدر الأمر السلطاني إلى القائد التمسماني في بداية ربيع الأول عام 1091 / بداية أبريل 1680، فغادر مكناس ليصل إلى القصر الكبير يوم عيد المولد النبوي 12 ربيع الأول / 12 أبريل، وتوجه إلى ميدان طنجة في اليوم الموالي، ليبدأ الحصار يوم 14 من نفس الشهر، ويستمر خلال شهر كامل، دون أن يبدي أهل المدينة أي اهتمام بمساعدة المحاصرين اعتماداً على حامية حصن مرشان المتكونة من مائتي جندي وعلى ما كان بمخزن الأقوات من المؤونة الكافية لستة أشهر. وكان لا بد من فرض الحصار كذلك على برج "هنْريتا" المجاور له من جهة الشمال (رقم 24). كان قد أُعيدَ ترميم ما تخرب منه خلال الحملة السابقة.

اتخذ الجيش المغربي محلته المعهودة بالجهة الغربية على الضفة اليسرى من واد اليهود، مما يقابل البرجين المذكورين. أمر القائد عمر بن حدّو في البداية بحفر ثلاثة خنادق، ذات وجهة شمالية جنوبية بين البرجين وباب قصبة المدينة، للتمكن من قطع الإمدادات الخارجة من المدينة. بلغ عمق أحد الخنادق نحو أربعة أمتار، حسب شهادة أحد الضباط الانجليز، وتم تحصينها بالأحراش وجذوع الأشجار وأكوام الأتربة والأحجار.

وأشرف القائد التمسماني من جهة أخرى على البدء في حفر نفق موجه ضد أساس حصن مرشان، في ظروف صعبة حتمتها طبيعة الصخر وعدم استواء السطح، علاوة على مقاومة أهل الحصن. وربما لم تختلف مواصفات الأنفاق عما فصله لنا أحمد بن القاضي الگعداوي في *تقاييده*، بالنسبة لما كان يقوم به مجاهدو قلعية ضد أبراج مليلة في نفس الفترة.

بدأ المجاهدون الهجوم يوم 21 ربيع الأول / 21 أبريل بتصويب ضربات مدفعين في اتجاه برج "هنْريتا"، وبفضلهما تم إحداث خرق في جانبه الغربي، مما أدى إلى استسلام أهله يوم 22 ربيع الثاني 1081 / 18 ماي 1680، الأمر الذي كان له أبلغ الأثر على إضعاف قوة دفاعية حصن شارل (مرشان). وهذا ما كان يرمي إليه المجاهدون من البدء باقتحام البرج المذكور.

بسقوط برج "هنريتا" أصبح المجال مفتوحاً أمام حصن مرشال من الجهة الشمالية، مما سمح بمضاعفة الحصار من تلك الجهة، في وقت حاول فيه القائد عمر بن حدّو التأثير على معنويات المتحصنين، مهدداً إياهم بتخريب الحصن بواسطة النفق الممتد إليه، وهو ما أمر بتنفيذه بمجرد عودة شاهد عيان من المدينة تم استدعاؤه لتلك الغاية.

وعلى الرغم من أن عملية حفر النفق لم تكن متقنة إذ أنها أخطأت في قياس المسافة على بعد من أساس البرج، إلا أن الانفجار أشاع الفزع بين المعتصمين، وكان السبب في حدوث انشقاق بين الجنود الذين فضلوا الاستسلام وضباطهم، مما سهل مهمة اقتحام الحصن، سيما بعد نجاح المجاهدين في صد هجوم المدينة. فلم ينج من مائتي جندي سوى اثني عشر منهم، وتم أسر أربعين منهم. أما الباقون فقد قتلوا. تحقق هذا الفوز يوم 24 ربيع الثاني 1091 / 24 ماي 1680، حسبما تم ترجيحه.

ولا بد من التنبيه إلى أن عبد الكريم بن موسى الريفي أشار إلى هذه الغزوة، ولكنه أخطأ أثناء تعيين سنة حدوثها، حين أشار إلى تخريب قصبة مرشان وبرج الصفيحة الذي عنى به برج "هنريتا" ولا شك، وأضاف إليهما برج البحر، أي برج المراقبة المجاور لهنريتا من جهة الشمال والمشرف على ساحل المضيق (رقمه بالرسم 25). وحدد تاريخ الغزوة في 25 ربيع الثاني من عام 1092 أي موافق 14 ماي 1681. ونحن على علم من أن القائد عمر بن حدو كان في ذلك التاريخ بميدان المعمورة، ما بين صفر / مارس، وما بعد ربيع الثاني / بعد أبريل، منهمكاً أولاً في إجراءات استرجاع المدينة، ومشتغلا بعد ذلك في التغلب على المشاكل الحربية والاقتصادية المترتبة عن تحريرها، مثلما سنقف عليه.

لا تخفى علينا أهمية هذا الانتصار، ويمكن إضافة نتائج حربية إيجابية أخرى بتتبع أخبار المجاهدين خلال الأيام المتبقية من شهر ربيع الثاني / ماي. فقد لاحظ الانجليز سرعة تحركات الجيش المغربي بمواقعه الغربية، إذ أن المجاهدين نصبوا أربعة مدافع على كدية واقعة بين حصن مرشان وبرج پول (Pole) الظاهر في الرسم تحت رقم 20. كان ذلك يوم 25 من الجاريين حينئذ. ومن ذلك الموقع شرعوا في إطلاق النار على أسوار المدينة. وشرعوا خلال اليومين التاليين في حفر خندق طويل يمتد بين برجي "مونموت" و"يورك" (Yorck)، وهما من ضمن الأبراج الجنوبية الشرقية، رقمهما بالرسم على التوالي : 21 و18. والغاية من حفر الخندق اتصاله بخندق آخر ممتد بين برجي : "نوروود" (Norwood) و"پول" من الأبراج الوسطى.

واستهدفت هذه العمليات الحربية تطويق المدينة من جهتيها البريتين الوحيدتين، الغربية والشمالية استعداداً لعمليات أوسع. هذا هو ما تبين خلال الأيام الثلاثة الأخيرة من شهر ربيع الثاني / ماي، بإحداث ساحة مركزية، استعداداً للهجوم، اختار لها القائد عمر فراغاً بين برجي

"جاك" و"مُونْموث".

الواقع أن القائد التمسماني لم يكن ينوي اقتحام المدينة بالقدر الذي كان فيه راغباً لجر الانجليز إلى هدنة تضمن له الاحتفاظ بالمكتسبات التي توصل إليها بالميدان خارج أسوار المدينة. وهذا هو ما تأكد إثر استدعاء ثلاثة ضباط من المدينة لمعاينة استعدادات المغاربة. فقد صرح أولئك لحاكم المدينة أن هناك عشرين قطعة مدفعية مستعدة للتدخل، كما أن الجيش مقسم إلى قسمين يحيطان بالأسوار من الجهتين الغربية والجنوبية، مما دفع حاكم طنجة لطلب الهدنة لمدة أربعة أشهر، تم الاتفاق المبدئي على بنودها في 3 جمادى الأولى 1091 / أول يونيه 1680. هكذا اتفق على أن لا يعود الانجليز إلى تعمير الأبراج التي وقع اقتحامها، أي الأبراج المتقدمة، الغربية والجنوبية. واحتفاظ الحامية بباقي الأبراج الواقعة بالمحور الأوسط من الميدان. ويتعلق الأمر ببرج العين (Fuente) رقم 15، وبرج كَمْبْرِدْج (Cambridge) رقم 16، وبرج بيبسس (Belleses) رقمه 17 وبرج پول (Pole) رقم 20، وبرج ويتْ هال (White Hall) رقم 22. ويمكن لأهل طنجة حسب الاتفاق الخروج إلى الميدان لقضاء مختلف أغراضهم خلال مدة الهدنة التي ستنقضي مع نهاية شهر شتنبر.

وقد فهم ناقلو أخبار تلك الهدنة الغاية التي يهدف إليها الطرفان، حين ذكروا أن الأنجليز كانوا يرجون من وراء ذلك انتظار وصول الإمدادات الكافية. كما أن القائد عمر وقع الاتفاق رجاء جمع القوات الكفيلة باقتحام المدينة. ومهما كانت تلك الغايات فإن عمر بن حدّو لم يعد إلى ميدان طنجة للضغط على المدينة وأبراجها على الرغم من تفقده لأحوال الحراسة. علاوة على أن غاية الطرفين المغربي الأنجليزي عادت في أكتوبر للتعبير عن الرغبة في تجديد الهدنة لمدة أطول.

ففي مستهل شوال عام 1091 / نهاية أكتوبر 1680 بعث حاكم طنجة رسالة إلى المولى إسماعيل وأخرى إلى القائد عمر بن حدّو يعبر فيهما عن رغبة العاهل الأنجليزي في إرسال سفير لبحث اتفاق الهدنة. وسرعان ما كلف السلطان عامله على الغرب بتسهيل إجراءات نقل السفير. ويظهر أن الهجوم الذي باغت به الأنجليز الحراسة المغربية المتمركزة خلال فترة الهدنة بقصبة مرشان لم يُؤثر على استمرار المحادثات. وبذلك عقد القائد عمر عدنة لمدة ستة أشهر وذلك ما بين 3 ذي القعدة / 25 نوفمبر و14 ذي القعدة 1091 / 6 ديسمبر 1680. أي أن نهايتها محددة، إذا اعتبرنا الغايتين 14 ذي القعدة و6 ديسمبر، بمنتصف جمادى الأولى 1092، وبداية يونيه 1681.

ولم يلبث أن عاد حاكم طنجة لطلب عقد هدنة مطولة تستغرق أربع سنوات. ومن أجل تلك الغاية حل بمكناس في 5 صفر 1092 / 24 فبراير 1681، برفقة القائدين عمر بن حدو وابن عمه علي بن عبد الله، قائد تطوان. وحضرا استقبال السلطان للسفير في اليوم الموالي، وعقد الاتفاق وتوقيعه.

هكذا فإن تاريخ نهاية الهدنة سيكون في صفر 1096 / فبراير 1685.

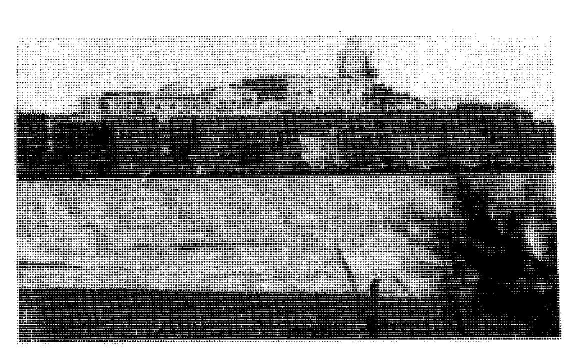
2) وفي الوقت الذي كانت فيه السفارة الانجليزية بمكناس والقائد عمر بن حدو برفقتها حوالي 10 ربيع الأول 1092 / آخر مارس 1681 بلغ إلى السلطان خبر عن المعمورة لم يكن في الحسبان. ذلك أن إسبانياً فر من المدينة وحث على احتلالها، نتيجة حالتها المتدهورة بفرط المجاعة والأمراض. هذا هو ما قصه علينا الأسير "مويت" الذي كان آنذاك بتطوان بعد أن تم افتداؤه. وقد تأكدت أقوال المخبر من تتبع أطوار الحصار والسرعة التي تم بها استسلام المدينة.

كلف المولى إسماعيل قائد القصر الكبير بتعبئة الرجال الذين بلغوا عشرة آلاف محارب من فاس ومكناس وسلا والقصر الكبير وتطوان. وقد حضر من سلا الولي الصالح أحمد حجي. وبالجميع بدأ الحصار في أواخر ربيع الأول 1092 / منتصف أبريل 1681.

أمر القائد عمر أولا باختراق الحواجز الصخرية من السور الشمالي إلى ضفة واد سبو على مسافة طلقة بندقية ليكون قريبا من السور الشمالي. ومن تلك الجهة وجه نظره إلى اقتحام برجين، كانت مهمتهما منحصرة في حماية السفن الداخلية إلى حلق سبو وتم له ذلك.

وفي أغلب الاعتقاد فإن البرجين المقتحمين هما اللذان سماهما عبد الكريم الريفي بالقبيبات والفندق، كانا بمثابة مخزن للبضائع والأقوات، مضيفاً أن الاقتحام كان يوم الاثنين الموافق ليوم 27 ربيع الأول / 15 أبريل. كما أن المغاربة حالوا بين الاسبان وبين البئر الذي كان منه شربهم.

استخدم القائد عمر أسرى البرجين لإخبار حاكم المعمورة بالحصار المحكم حول المدينة، وبعزمه على البقاء إلى أن يتم له ما أراد. وسرعان ما بعث الحاكم اثنين من ضباطه لبحث بنود الاستسلام يوم 3 ربيع الثاني / 22 أبريل، ولكن الاتفاق لم يكتمل بين الطرفين إلا بعد أربعة أيام تالية. تم إثرها إخبار المولى إسماعيل الذي كانت محلته بواد أم الربيع واستعجاله للحضور وتوقيع شروط الاستسلام. وهذا هو ما تم يوم الأربعاء 11 ربيع الثاني 1092 / 30 أبريل 1681.



قلعة النكور
مقر عمر بن محمد التمسماني

بإجماع المؤرخين المغاربة والأجانب.

قضى عمر بن حدّو ما تبقى من حياته في ترتيب شؤون معمورة وتطبيق تعليمات المولى إسماعيل الخاصة بهذا الشأن. فإذا تخطينا ما وجب إحداثه من إصلاحات داخلية تساير الوضع الجديد للمدينة، فإننا نعلم أن أوامر السلطان إلى القائد عمر خصت تحصين المدينة من جهة الحلق ببناء الأبراج من جهتين. ومحاولة خلق مركز تجاري هناك. فقد لوحظ أن المصب يسمح بدخول السفن ذات الحمولة المتراوحة بين 500 و600 طن، وأن دخولها إلى المرسى أسهل من دخولها إلى سلا. وراج التفكير في خلق حوض لبناء السفن، باستغلال خشب غابة المعمورة.

3) اشتغل القائد عمر أيضاً بحل مشاكل القرصنة، إذ أن المولى إسماعيل أضاف إلى مهامه السهر على شؤون الثغور الواقعة بالغرب وفي مقدمتها مدينة سلا، التي تشكت من الحصار البحري المفروض عليها من طرف أسطول فرنسي مكون من عشر سفن، يقودها الفارس "شاتو رونو" (Chateau Renault) منذ جمادى الثانية ـ رجب 1091 / يوليوز 1680، والغاية جر المغرب إلى عقد اتفاق يرضى عنه لويس الرابع عشر.

كلف المولى إسماعيل قائد الغرب وثغوره البحرية ببدء المحادثات. ومن أجل ذلك انتقل السفير الفرنسي "شاتو رونو" إلى مصب واد تاهدارت شمال أصيلا، لقطع الطريق من هناك براً إلى القصر الكبير والاتصال بقائد المدينة. وهناك الرسالة التي بعثها عمر بن حدو إلى السفير الفرنسي بتاريخ 9 شبعان 1091 / 4 شتمبر 1680، يتضح منها ما توصل إليه الطرفان من الاتفاق : يتعذر على السلطان توقيع الهدنة خلال شهري شعبان ورمضان، ولكنه يمكن تطبيق بنود الاتفاق، بدءا من تاريخ المراسلة، خلال مدة خمسين يوماً. وبناء على ذلك سيسمح للفرنسيين بالنزول إلى البر والبقاء به خلال المدة المذكورة. ويمكن للسفن التزود بالماء والحطب وغير ذلك من الأقوات بدون أي عرقلة.

ويظهر أن عمر بن حدو اشترط على الفرنسيين تزويد البلاد بالبارود لقاء ما يحصلون عليه من المراسي، وهو أهم ما يلح عليه السلطان المولى إسماعيل. وهذا هو ما طلبه وأصر عليه قائد مرسى تاهدارت، وأثار مخاوف السفير الفرنسي. مما اضطر قائد القصر الكبير إلى طمأنته ببيان أن هذا النوع من التبادل هو الجاري مع التجار الانجليز والفرنسيين أنفسهم.

وآخر الشروط التي تبرزها الرسالة، معاملة السفن المغربية المتجولة بين مراسي الدول بنفس المعاملة خلال الأجل المحدد الذي سينتهي يوم 25 أكتوبر 1680. وبعد انقضاء ذلك الأجل تابع الفرنسيون البحث للتوصل إلى عقد الهدنة منذ نهاية شتنبر 1681 / 17 رمضان 1092، حينما بعثوا سفينتين الواحدة إلى تاهدارت والثانية إلى سلا وعلى ظهرها عدد من يهود مدينة أمستردام الهولندية.

تأكدنا من العودة إلى المحادثات من الرسالة التي وجهها القائد عمر بن حدو وهو آنذاك بميدان طنجة في 20 ذي الحجة 1091 / 11 يناير 1681، يخبر فيها باتفاقه مع "شاتو رونو" على بنود الهدنة، وإرسال سفير السلطان الحاج محمد تميم التطواني إلى لويس الرابع عشر. وبناء على ذلك بعث لويس الرابع عشر بتعليماته إلى "دو لا بار" (De La Barre) لمتابعة المحادثات وتحرير نص البنود، مؤرخة بـ 9 أبريل 1681 / 20 ربيع الأول 1092.

ولا شك أن المحادثات كانت قد توقفت بسبب عمليات استرجاع المعمورة (أوائل ربيع الثاني / أواخر أبريل) ولم تستأنف إلا خلال الشهرين المواليين، لتظهر بنود الاتفاق في صورتها الأولى مع بداية يوليوز 1681 / 14 جمادى الثانية 1092 وفي صورتها النهائية يوم 13 يوليوز / 27 جمادى الثانية.

توجد بنود الاتفاق منشورة بوثائق دو كاستري بنصيها الإسباني والفرنسي وتتكون من ستة عشر بنداً. ويزيد النص الفرنسي على الإسباني في آخره بإضافة بندين سريين. وتم عقد الاتفاق بالمعمورة بين القائد عمر بن حدو و"شاتو رونو". قصد منه ضمان أمن تحركات السفن القرصنية بين المغرب وفرنسا، وتنظيم العلاقات التجارية بين مراسي البلدين، إلى جانب تحرير الأسرى. وتعلق شأن البندين السريين بأمر السفن الحربية القاصدة لمراسي البلدين.

وعلمنا في 26 غشت 1681 / 10 شعبان 1092 برفض لويس الرابع التوقيع على الاتفاق في الرسالة الموجهة إلى "شاتو رونو"، يأمره فيها بإعلان الحرب على قراصنة سلا إلى أن يرضخ المغاربة لتوقيع بنود أكثر ملاءمة لفرنسا. وقد اهتم الوزير الفرنسي كولبير (Colbert) ممثل بلاده في المحادثات بضعفه أمام جليسه القائد عمر بن حدو حين وافق له على تسريح أزيد من أربعمائة أسير مغربي، من سلا خاصة كانوا قد أسروا بعرض الساحل البرتغالي، لقاء اثني عشر فرنسيا فقط. وقد انضاف إلى ذلك ما أقدم عليه القائد عمر من أسر سفينة ليجي (Leger) الفرنسية، إثر أسر سفينة سلاوية كانت للرايس علي (Ali Baudy) وهذا هو الموضوع الذي كاتب المولى إسماعيل لويس الرابع عشر في شأنه بتاريخ آخر شعبان 1092 / 18 شتنبر 1681.

اختفت عنا أخبار عمر بن حدو خلال الشهرين التاليين إلى أن أعلنت وفاته بمكناس من جراء إصابته بالوباء، وذلك في 18 رمضان عام 1092 / 2 نوفمبر 1681، خبر أعلن من طنجة وقادس. ودفن بضريح سيدي عبد الله بن محمد، خارج المدينة، وتولى مكانه ابن عمه القائد علي بن عبد الله الريفي.

عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهرة الأكم*، 151 ـ 158 ـ 166 ـ 168 ـ 169، الرباط، 1992 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 63 ـ 64 ؛ *معلمة المغرب*، 4 : 1272.

S.I.H.M., 2ème série, *France*, 1 : 489 - 490 - 491 - 492 - 493 - 499 - 500 - 501 - 503 - 507 - 532 - 537 - 539 - 540 - 541 - 559 - 560 - 566 - 567 - 594 - 603 ; *S.I.H.M.*, *Hollande*, 2 : 340 ; G.

Mouette, *Histoire de Mulay Rachid et Mulay Ismaïl*, 79 - 162 - 168 - 170 - 171 - 172 - 193 - 196 - 198 - 180 - 193 - 196 ; Routh, *Tanger*, 162 - 168 - 170 - 171 - 172 - 175 - 193 - 198 - 180 - 193 - 196 ; T. Garcia Figueras, *Miscelaneas*, 285 ; G. y de Vera, *Memoria historica*, 275 - 276 ; J. Castillanos, *Historia de Marruecos*, 93 - 94 - 443 ; G. Guillermo Guastavino, *Tanger inglés*, 6 - 10, Tanger, 1939.

التمسماني، عمر بن محمد، يضاف إليه لقب المريني، لانتسابه إلى بقايا الأسرة المرينية الباقية بتمسمان إلى الوقت الراهن. ويكنى أيضا بالحمامي، نسبة إلى جماعة أولاد حمامة القديمة الاستقرار بفرقة بني مرغْنين، حول ضريح جدهم محمد الحمامي الإدريسي، منذ القرن الرابع الهجري (محمد السنوني، *الدرر السنية*، 125)، بجوار واد تجزرين (الجزيرات)، رافد واد تمسمان.

أول من عرفنا بالشيخ عمر التمسماني، التاجر الفرنسي"رولان فريجوس" (Roland Frejus)، حين تكلف بنقله من مرسى المزمة إلى فاس في ربيع عام 1078 / 1666. كما أشار إليه عبد الكريم بن موسى الريفي في *زهر الأكم*، وخصص له الأسير "مويت" (G. Mouette) مكاناً في *مذكراته*، منفرداً بتفاصيل عن تمرده على المولى إسماعيل.

برز الشيخ عمر التمسماني المريني في منتصف القرن الثاني عشر (منتصف 18 م) بتمسمان، في ظروف ظهور قوة شيوخ القبائل بالريف الشرقي أواخر الدولة السعدية. تكونت نواة بحثه عن السلطة بالقبيلة بجماعة أولاد حمامة، وفرقة بني مرغْنين، في وقت كانت فيه قبائل تمسمان وبني توزين وتافرسيت تابعة للشيخ أحمد أعراص، صاحب المزمة وحوز بادس، آخر قواد السعديين بالريف. (*معلمة المغرب*، 2 : 515).

ففي عام 1072 / 1660 الذي وصلت فيه الدعوة العلوية إلى الريف الشرقي، بثبوت طاعة أحمد أعراص لمولاي مَحمد بن الشريف، أثناء مقدمه الأول إلى المغرب الشرقي، كان النزاع قائماً بين الشيخين على تمسمان وتافرسيت. وكان على الشيخ التمسماني الانتظار إلى حين ظهور حركة مولاي الرشيد بالريف الشرقي. فبمجرد حلوله بكبدانة وقلعية بادر إلى تقديم الطاعة إليه عام 1074 / 1662 وإقناعه للزحف بنفسه لإجلاء أعراص عن تافرسيت ومتابعته إلى حوض النكور وعاصمته المزمة.

كان هذا الفوز هو الذي جعل الجبال الواقعة شرق النكور تحت قيادة الشيخ عمر. إلا أن مشاكله لم تكن قد انتهت بعد مع أعراص، إذ أنه تعرض لهجومه، أثناء تأهب مولاي الرشيد للزحف على فاس، فلم يسترجع التمسماني اعتباره إلا بعد عودة حليفه إلى النكور وتخريب المزمة في نفس السنة المذكورة.

وعادت المحنة إلى الشيخ عمر أثناء زحف مولاي مَحمد بن الشريف إلى الريف ومحاصرة أولاد حمامة بقصبتهم، ولم ينجوا من بطشه إلا لكونهم فروا إلى بني إزناسن. ولم يحن وقت الانفراج إلا بعد مقتل مولاي مَحمد عام 1075 / 1663، وتنظيم زحف أخير على أحمد أعراص، وهدم قصبته بتلا بادس، من قبيلة بني يطّفت، بعد التجائه إلى إسبان حجرة بادس. (وجودهم بها منذ 1564). وسيبقى بها إلى أن يصدر العفو عنه، ويتم بعد ذلك نقل أسرته إلى فاس.

وإصدار العفو على الأعارصة جعل الشيخ عمر يعمل جنباً إلى جنب معهم طيلة ما تبقى من حياة المولى الرشيد وسنوات من عهد المولى إسماعيل. ولا شك أنه شارك في احتلال فاس (1076 / 1664) ومراكش (1079 / 1668) بالجيش الريفي، وساهم في الجانب السياسي، بحكم المكانة التي كان يحتلها في نظر مولاي الرشيد، مما جعل عبد الكريم الريفي يسند إليه منصب الوزارة. غير أنه ينبغي أن نرد إليه فقط مرتبة أهم قواد الجيش الريفي، وما كان تحت سلطته من حكم الريف الشرقي.

انتقل الشيخ عمر، حين استقرار أوضاع الجزء الغربي من الريف الشرقي لصالحه، من سكناه بجماعة أولاد حمامة وفرقة بني مرغنين إلى مدشر بني بويعقوب، فرقة الفوقي، واتخذه مقر إدارته. يقع المدشر على الكدية الواقعة بين واد تمسمان، المدعو هناك واد الجماعة وبين واد العرصة، رافده. ولا يزال المسجد وقبة سيدي بويعقوب اللذين شاهدهما رولان فريجوس في 20 أبريل 1666 / 15 شوال 1076 قائمين، كما أن هناك دوراً واسعة، محصنة بواسطة أسوار منخفضة وعريضة، قيل إنها عائدة إلى تلك الفترة، وإحداها هي التي أقام فيها التاجر الفرنسي، وقدم لنا بعض ملامحها. ووجدت بالمدشر جالية يهودية كانت مكلفة بالتجارة مع النكور والمزمة.

وأحاط الشيخ عمر نفسه بعدد من المساعدين اختارهم من أفراد أسرته، أقربهم إليه الشيخان عبد الكريم وعبد العزيز، ولدا عمه، ومن قواده عيسى بن عدو ومحمد المتيوي، وتألفت قوته الحربية الدائمة من عشرين فارساً، يستعملهم أثناء جمع الجباية، أو مواجهة عصيان، مثلما حدث يوم عشرين أبريل بالنسبة لبني توزين.

وفي يوم 25 رمضان 1076 / بداية أبريل 1666 كان الشيخ عمر بمنزله في بني بويعقوب، حينما رست سفينة فرنسية بمرسى المزمة الكائن بالصخرة المقابلة لها (صخرة النكور). وعلى ظهرها التاجر الفرنسي رولان فريجوس، وعلم من الرسالة الموجهة إليه بتاريخ 5 أبريل أنه راغب في الاتصال بمولاي الرشيد، موهماً إياه أنه سفير لويس الرابع عشر. وسرعان ما طيَّر الشيخ الخبر ورسالة التاجر إلى مولاي الرشيد. وتوصل بالجواب بنفس السرعة يوم 19 من نفس الشهر، يأذن فيه الشريف العلوي بنقل الزائر إليه.

بدأ الشيخ عمر في تنفيذ الأمر بقطع حوض النكور من المزمة إلى مدينة النكور، وهو في طريقه وجهة بني بويعقوب. ومن هناك سلك بالتاجر الطريق المار بتافرسيت وأراضي المطالسة واكزناية وتازا إلى فاس. وبعد استقبال مولاي الرشيد لرولان فريجوس مرتين، شرع الشيخ في طريق العودة مع بداية شهر ماي / 7 ذي القعدة 1076.

لم يلبث أن انكشف لمولاي الرشيد زيف سفارة

فريجوس، فتم طرده بعد أن ضبطت لديه ورقة عليها رسم أعده مشروعاً لبناء قلعة على صخرة النكور. وكان هذا سبب صدور أمر مولاي الرشيد إلى الشيخين محمد بن عمر ويحيى أعراص للإشراف على بناء القلعة على الصخرة، حسبما جاء به عبد الكريم بن موسى الريفي، اتقاء لشر غزو أجنبي، إذ أن الفرنسيين والانجليز كانوا عازمين على تأسيس شركة المزمة.

اشتغل الشيخ عمر التمسماني مع يحيى أعراص ببناء القلعة، في تاريخ نقدره بين 1076 و1082 / 1666 و1671، إذ أننا علمنا باكتمال بنائها قبل وفاة مولاي الرشيد. ولا شك أن شكل البناء هو الذي وجده عليها الإسبان حينما داهموها عام 1086 / 1674 في بداية أمر المولى إسماعيل، وهو في شكله الخارجي نفس المحيط الظاهر إلى اليوم (*المعلمة*، 2 : 515).

احتفظ الشيخ عمر التمسماني بمكانته في البلاط المخزني، كأحد رجال الجيش البارزين، خلال السنوات الأولى من حكم المولى إسماعيل. وفي أغلب الاعتقاد أن ميله بدأ يتحول منذ ثورة فاس عام 1083 / 1667 لصالح أحمد بن محرز. فحسب "مويت" أخذ الشيخ التمسماني على صهره المولى إسماعيل سوء معاملته لأخته. ولكن أهم المآخذ هي التي جمعها تصريحه في الاجتماع السري الذي دبر فيه اغتيال السلطان.

تبين من خطاب الشيخ عمر الذي ألقاه أمام ثمانية من أولاد أعراص : عبد العزيز بن أحمد أعراص، وابنه عبد الله، عبد الله أعراص وأخوه محمد، وعبد الكريم بن عبد الله، ومحمد بن يحيى أعراص، والأخوان عبد القادر وعبد الله أعراص، أكد فيه تدني مرتبة أهل الريف وقواده عما كانت عليه أيام المولى الرشيد، مشيراً إلى بعض الأسباب :

1) رفض السلطان الاستجابة لما طلبوه من العفو لأهل الريف، وهو يعني بذلك الجماعة التي كانت بسجن فاس من المقبوض عليهم عام 1083 / 1672، أثناء ثورة الريف لصالح بن محرز، والجماعة التي ردت الحركة الموجهة إلى الريف لجمع الجباية. ومن ذلك أيضا رفض السلطان إصدار عفوه على يحيى أعراص، خليفته بمراكش المنحاز إلى أحمد بن محرز في ربيع 1087 / 1675 (*المعلمة*، 2 : 516).

2) أن السلطان كان عازماً على إنزال أقسى العقوبات بأهل الريف، تبين هذا من الحركة التي وجهها إلى الناحية بقيادة خليفته بفاس عبد الرحمن الفيلالي ومن الأوامر الصارمة التي تلقاها لتأديب السكان، مما جعل قواد الريف الموجودين بمعية السلطان غير آمنين على أنفسهم، نتيجة المراقبة المستمرة لتحركاتهم.

لم ينفض المجلس إلا بعد الكتابة لأحمد بن محرز الموجود آنذاك بمراكش وبمعيته يحيى أعراص. وتعهد الشيخ عمر في الأخير بالإقدام على الخطوة الأولى باغتيال السلطان. فمتى دبرت المؤامرة ؟

لم يتمكن عبد الكريم بن موسى، في *زهر الأكم*، من ضبط تاريخ تلك المؤامرة التي عبر عنها بنفاق أهل الريف، حين رده إلى سنة 1083 / 1671 وربطه باحتلال أحمد بن محرز لتازا، وثورة فاس الموالية إذ أن التفاصيل التي قدمها "مويت" تبطل ذلك. وتتبع تلك التفاصيل يقودنا إلى ضبط ذلك التاريخ، مستعينين بتاريخ ثورة الريف (1083 / 1672) وبانحياز يحيى أعراص إلى ابن محرز، وتعيين عبد الرحمن الفيلالي قائداً على فاس، بدل مولاي هشام الذي بعثه المولى إسماعيل إلى تافيلالت في ربيع 1087 / 1675، أي في الوقت الذي كان فيه السلطان بالجبل الأخضر من دكالة، أثناء زحفه من سلا إلى مراكش في محاولة لطرد ابن محرز.

عقد الشيخ عمر اجتماعه السري حين حلول الجيش المغربي بقرية "مائة بير" من حوز أسفي، وذلك في صفر 1087 / أبريل 1675. وقد نفّذ وعده بإطلاق رصاصة أصابت المولى إسماعيل إصابة خفيفة بأحد كتفيه. وكانت النتيجة مقتل الشيخ عمر في عين المكان على يد حراس السلطان من عبيد البخاري، وملاحقة الأعارصة وأولاد حمامة. وقد قدم لنا مويت لائحة المقتولين من أولاد أعراص، سواء من الذين دبروا المؤامرة مع الشيخ عمر المشار إليهم، أم من الذين كانوا بفاس، مثل الشيخ المسن محمد بوراس أعراص. ومن كان بمراكش ممن استطاع الفرار إليها : عبد الكريم بن عبد الله أعراص ومحمد بن يحيى أعراص وعبد القادر، بعد أن تكلف بالمتابعة والتنفيذ عبد الرحمن الفيلالي.

عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 123 ـ 126 ـ 130 ـ 143 ـ 146 ـ 150 ـ 162 ـ 201 ـ 211، تح. ابن عدادة ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 106 ؛ *معلمة المغرب*، 2 : 514 ـ 515 ـ 516 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90 ؛ خريطة طبوغرافية 1935 ؛ زيارة ميدانية.

Relation de R. Frejus, *S.I.H.M.*, *France* 2ème série, 1 : 125 - 128 - 131 - 188 ; G. Mouette, *Histoire de Mulay Rchid et Mulay Ismaïl*, *S.I.H.M.*, *France*, 2ème série, 2 : 63 - 69 - 85 - 86 - 87 - 88- 89 - 90 - 115.

التمسماني، محمد بن **أحمد** البُـيْديري من جملة قواد خمس بني بُيْدير التمسمانيين، دلت الوثائق على أنه كان قائد الحسن الأول بين 1306 و1309 (1888 ـ 1891)، فهو بذلك معاصر للقائد أحمد بن محمد بن عبد الله البُيديري (1304 ـ 1309)، مما دلنا على أن خمس بني بُيْدير كان بدوره مقسماً إلى قيادتين، على الأقل خلال تلك المدة. ولكننا نجهل طريقة التقسيم تلك.

ظهر محمد بن أحمد أول مرة بالوثائق المخزنية بتاريخ 11 جمادى الأولى 1306. حينما خاطبه الحسن الأول في شأن انتخاب الرماة من إيالته للمشاركة في حركة الغرب، والحضور بهم إلى فاس في أوائل شعبان تلك السنة. ونعلم بعد ذلك أن الواجب عليه من جباية سنة 1306 وصل إلى 1.500 ريال، وفرض عليه نفس المقدار ذعيرة، نتيجة عدم مشاركته في حركة الغرب (13 و14 ربيع الثاني 1307).

وكما جرت العادة، كلما توجهت الحركة المخزنية إلى

الريف، توصل محمد بن أحمد بمراسلتين، أمر في الأولى بإعداد المؤونة للمحلة عند نزولها بتمسمان في الأماكن المعينة لها (5 رمضان 1309) وأخبر في الثانية بالتأهب لجمع رجاله وملاقاة الحركة في أوائل بلاد الريف بحدود بني بويحيى المتصلة بواد ملوية من جهة أكرسيف، ومرافقتها إلى قصبة سلوان، والاستمرار في رفقتها أثناء تنقلاتها إلى أن تستوفي أغراضها ثم التوجه معها إلى فاس (12 رمضان 1309). وهذه آخر مراسلة متصلة بأخباره.

وثائق خ. ح. بالرباط؛ كنانيش خ. ح. بالرباط، 1062، 165.

التمسماني، محمد بن بوعزة التروكوتي، تولى خلفاً لأبيه قائدا على فرقة تْروكوت، يعود أول علمنا بوجوده بتلك الصفة إلى 14 رجب عام 1297، بمناسبة وصول الخبر إليه للشروع في قبض الواجبات المخزنية المعتادة. وقد بلغت آنذاك 1933 ريالا. استمر في الحكم إلى أن أُعلن عن اغتياله قبل 11 ربيع الثاني عام 1309. وتظهر الوثائق حسن علاقته مع الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني والفرق التي كانت تحت تصرفه، ومع القائد التوزاني محمد أمغار. بينما كانت علاقته على خلاف ذلك مع القائد شعيب بن حم التمسماني، الذي أخبر عنه: "... وأما الخديم محمد فهو مجاور لمرسى سيدي أبي داود، وقريب من جزيرة النكور. وقد كثر تردده إليها في الذهاب والإياب، ولطالما تكرر ذلك منه مراراً، حتى أفضى به الحال إلى أن عزم على أناس من النصارى من الجزيرة، فأضافهم إلى داره، وباتوا لديه، وتعاملوا بالهديات من الجانبين، وقد شوهد يتماشى معهم بالشط نهاراً... في 6 شعبان 1306". لا نعرف دواعي اغتياله من طرف شخصين معلومين فرا إلى طنجة، فخلفه أخوه علال.

وثائق مخزنية؛ كنانيش خ. ح. 152، 166، 175، 468، 747؛ ضابط الأمور الوطنية، 90.

التمسماني، محمد بن حمّ البُبْديري، قائد مخزني، عُين على خمس بني بُبْدير الواقع في الشمال الغربي من أراضي تمسمان، خلفاً لسابقه حمادي البيديري. ظهر اسمه في الوثائق المخزنية عام 1298 / 1880 حين نظم الهجوم على جماعة بني مرغنين، التابعة آنذاك للقائد أحمد دادوش، كانت مهامه الأساسية قائمة على حراسة النقط الساحلية الداخلية في كتلة رأس الطرف أو سيدي شعيب المفتاح، مثل رأس سيدي شعيب وشاطئ سيدي داود ورأس الطرف. ولم ينج من الاتهام في قضية تهريب زيت الگاز إلى مرسى سيدي حساين، من قبيلة بني سعيد عام 1301، إذ أن المراسلات المتأخرة أشارت إلى تهاونه، منها ما كتب إليه الحسن الأول في 12 صفر عام 1301: "وبعد فقد أخبرنا خديمنا القائد أحمد دادوش التمسماني أنه لما قبض على بوشعيب بن ميلود، المشتغل بإنزال الكنطربنض بمرسى سيدي حساين، عملا بما أمرناه به، تعرض له صهرك محمد بن عبد القادر أمغار وتشاد معه وأفلتوه حتى فر لداره. وهو من الافتيات والسعي في الفساد في الأرض الذي يستوجب مرتكبه العقوبة الشديدة. وعليه فنامرك بالقبض عليه وتوجيهه لعلي مقامنا، وإلا كانت عهدته عليك ومصيبته راجعة إليك...".

وهذا مما شجع معارضه الحاج محمد بن عبد الله البيديري على انتزاع القيادة منه. وحينما استدعاه السلطان يوم 12 شوال عام 1301، كان منافسه قد حصل على التعيين في اليوم الموالي وتوصل بإذن القبض عليه. إلا أن محمد بن حم لم يستسلم لتلك الهزيمة، وأثار الفتن في وجهه بمساعدة بني مدين ورجال من بني تعبان إلى أن تمكن من اغتيال محمد بن عبدالله، والتجأ إلى قائد فرقة تروكوت محمد بن بوعزة. غير أن أحمد بن محمد المقتول، المتولى مكان والده طالب المخزن بملاحقته. وفي 6 شعبان عام 1306 أعلن عن مقتل محمد بن حم بمساعدة رجال المحلة المخزنية.

وثائق مخزنية؛ كنانيش خ. ح. 348، 121، 370؛ ضابط الأمور الوطنية، 90.

التمسماني، محمد بن عبد السلام، أمين مخزني من مدشر إعَوّادن، فرقة بني مرغنين. عين أمينا لفرق بني تعبان المقابلة لها على الضفة اليسرى من نفس الواد. ثم فرقة الربع الفوقاني الواقعة حول المجرى الأوسط. تم تعيينه في شعبان عام 1300، إثر الزيارة التي قام بها للحسن الأول على رأس وفد يضم أعيان بني مرغنين أثناء قيادة أحمد دادوش على نفس الفرق. واستمر في مهمة الأمين إلى ما بعد 13 رجب 1314، معاصراً للقائدين شعيب بن حمّ التمسماني وأخيه علال بن حمّ.

عاش محمد التمسماني في أزمة مع قواد الفرق بسبب الخلاف الناشئ بينهم على التصرف في شؤون المالية من زكاة وأعشار وهدايا وذعائر، والمؤونة التي هي من مهام الأمين. وكان من لوازمه أيضا مراقبة ما يصل من التهريب إلى مرسى سيدي إدريس الواقعة بمصب واد تمسمان، ومن ذلك ما أخبر به بمسألة تهريب زيت الگاز على عهد أحمد دادوش في محرم 1301. ومن أجل ذلك كثرت الاتهامات والشكايات بينه وبين القواد، ومثل ذلك ما كتب به مولاي عرفة، رئيس المحلة في 13 رجب 1314: "وصل أمره الشريف فيما كان بلغ لعلم سيدنا من أن خديمه القايد علال ابن محمد التمسماني استوفى من القبيلة عدداً من الأموال وتقاعد عليه واشتغل بإيقاد نار الفتنة واحراقه لعدد من المداشرالتي من جملتها مدشر سكنى الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني، فاقتضى نظر مولانا أن أصدر له أمره بالإقلاع عن شنيع تلك الأفعال... فأجاب بعدم وقوع شيء من ذلك... ولا طاقة له بحرق دار واحدة، فضلا عن حرق مداشر، وإنما الأمين المذكور هو الذي سعى في فساد القبيلة بالخوض، حتى اهتمت بالارتحال من أجله مراراً، ثم انقلبوا عليه ونفوه أياماً وأحرقوا داره، وحيث رجع لها صار

يقلب الحقائق على عادته..." وهذا آخر علمنا بالأمين وبمصير أحواله.

وثائق مخزنية : *كناش* 166، ص. 21 ـ 35 ؛ *كناش* 353، ص. 90 ؛ *كناش* 117، ص. 85 ؛ *كناش* 348، ص. 81 ـ 209 ؛ *كناش* 121، ص. 158 ؛ *كناش* 370، ص. 3 ـ 203.

التمسماني، محمد بن عبد الله البُيديري، قائد مخزني من خمس بني بيدير، ومدشره تغزَّ، الواقع عند منبع واد بوعياش. مما يقابل رأس الطرف من ساحل تمسمان. انتزع القيادة من سابقه محمد بن حم البيديري التمسماني، وتم تعيينه في 13 شوال عام 1301، بعد التمكن من جمع أعيان الفرقة والتوجه لهم بحراً إلى مرسى بادس للنزول عند القائد محمد بن عبد السلام أمقشد، قصد التدخل لصالحه لدى الحسن الأول. وبذلك انتقل إلى فاس برفقة وفد القبيلة وتسلم هناك تعيينه. وقد عانى من الاضطراب الذي كان يحدثه له سابقه القائد محمد بن حمّ. ومن ذلك ما قصه علينا الطالب الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني : "... إن القائد الحاج محمد بن عبد الله البيديري التمسماني لما ولاه سيدنا على إخوانه، فقام الحاج القائد الذي كان عليهم في السابق ثم انتُزع، وهو محمد بن حمّ البيديري، بالسعي في فساد الإيالة، فوقع البارود، فغُلبت طائفة من إخوان المتولي وانهدمت ديارهم، ونهبت أموالهم وتفرق الأصل منهم والحاشية، وتشتتوا سكان تلك القرية من أصول وأملاك ومواشي وشعير، نحو خمسون مطامير (... كذا) في تمام جمدى الأوى عام 1303".

ولم ينج محمد بن عبد الله من ملاحقات منافسه إلى أن توصل إلى اغتياله قبل 15 قعدة عام 1304"، وهذا التاريخ هو الذي يحدد تعيين ابنه أحمد خلفاً له من طرف أعيان القبيلة.

وثائق مخزنية : *كناش خ. ح.* 360، ص. 153 ـ 183 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

التمسماني، محمد بن محمد سحنون، نعتته الوثائق المخزنية بالطالب، أسرته من غزاوة الغمارية. عثرنا على تعيينه أمين بني بُيْدير في رسالة 12 رجب 1302، إلى جانب القائد محمد بن عبد الله البُيْديري، المعين في 13 شوال 1301. وحينما اغتيل هذا الأخير في ذي القعدة عام 1304 على يد منافسه شعيب بن حمّ البُيْديري، سهر على تولية أحمد بن المقتول، ومن أجل ذلك كون وفداً قصد به مبارك بن علي الدّوبلالي، قائد إدالة الريف بقلعية، للإعلان عن تلك الرغبة والتوجه إلى فاس. وهذا هو ما تم بالفعل. مما يفسر حسن علاقة الأمين مع قائد بني بُيْدير أحمد بن محمد. ولم نعلم بعد ذلك بنهاية مهمة الأمين أو وفاته. ولا يزال أعقاب سحنون إلى اليوم بتمسمان.

وثائق خ. ح. بالرباط.

التمسماني، مركاب بن عيسى، ويضاف إليه البُلُنْدي، نسبة إلى جماعة بني بُلُنْد الكائنة بعقبة تبلخاشت المندرجة في فرقة تْروگوت. وحسب البادسي فإن بلند هو ابن يصليتن من قبيل بَطُّوية. وصاحب الترجمة أول المذكورين من تلامذة الشيخ أبي داود مزاحم المتوفى بتروگوت عام 578 هـ. وتدخل مرحلة تلمذته ما بين 560 هـ وتاريخ وفاة شيخه.

اعتاد مركاب زيارة رابطة أبي داود، وهي على بعد يزيد عن الفرسخين من منزله. وقيام الليل مع صاحبها الذي كان معجباً بحسن تلاوته لكتاب الله، يقدمه إماماً أثناء تهجده. لم يذكر البادسي تاريخ وفاته.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 56 ـ 57 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

التمسماني، مزاحم يكنّى أبا داود وبه اشتهر. أول وأشهر من نعرف من متصوفي الريف الشرقي خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري (12 م). أورد الخبر عنه عبد الحق البادسي في كتابه *المقصد الشريف*، استناداً إلى الرواية التي أفاده بها عبد الرزاق بن عبد الواحد التمسماني، أحد أحفاد أبي داود، وإلى ما أخبره به بعض من اتصل بهم أثناء جولته بالقبيلة.

قدم لنا عبد الحق البادسي تسلسل نسب أبي داود على الشكل التالي : مزاحم بن علي بن جعفر بن سليمان، بن علي بن أبي عزيز بن أبي حربيل، بن ورترد بن يصليتن بن بطوي. إلا أن اختبار هذا التسلسل، بناء على تاريخ وفاة أبي داود سنة 578، دل على أنه غير موافق مع ما نعرفه من توغل تاريخ وجود بني يصليتن وبني بطوي في القدم. وبناء على ذلك إذا سلمنا بصحة القسم الأول من النسب الممتد إلى أبي حربيل، الجد السابع الذي كان حياً في آخر القرن الرابع الهجري، فإن ما جاء في القسم الثاني يدل فقط على انتساب أبي داود إلى بني ورترد وبني يصليتن وبني بطوي (*معلمة المغرب*، 5 : 1601) المستقرين بتمسمان منذ ما قبل الفتح الإسلامي بالمغرب.

ينتمي أبو داود إلى جماعة بني ورترد أو بني ورتدى (*معلمة المغرب*، 5 : 1589) التابعة لفرقة بني يصليتن، المستقرين منذ ما قبل الثاني الهجري بجبل أبي الحسن وحوض واد تمسمان ولقبيل بطوية، سكان الريف الشرقي الحالي. وفي القرن السادس الهجري كان بنو ورترد مستوطنين بالسفوح الشرقية المشرفة على ساحل خليج المزمة، المعروف آنذاك بساحل تغلاڭ (*المعلمة*، *تغلاڭ*)، مما يوازي في الوقت الحاضر جماعة أبي داود المستقرة بجبل إيگر أُفاضيس وجبل الحديد أوتبوذا.

ففي وسط جماعة بني ورترد ولد أبو داود بمدشر إفلاس في تاريخ نقدره بأوائل القرن السادس الهجري، ونشأ به وتلقى دراسته الأولى. وإذا كان اسم مدشره لا أثر له في التقسيم الإداري الحالي، فإننا نجزم أنه مدشر الرابطة الراهن، إذ أنه بنى الرابطة في أرض أحد جيرانه من نفس

المدشر. ويعود تقديرنا لتاريخ ولادته بأوائل القرن السادس إلى سنه المتقدم وفقدان بصره وأخيراً تاريخ وفاته المصرح به في عام 578.

ولا يسعنا لتتبع مراحل تكوين أبي داود سوى النظر في مراحل وأطوار حياته، إذ أننا نعلم أنه غادر بني ورترد أول مرة بالاتجاه نحو الأندلس، وبعد العودة انتقل إلى فاس، قبل استقراره النهائي ببلدته. وعلينا أن نتصور أنه لم يغادر قريته إفلاس إلى الأندلس إلا فيما قرب أو زاد على العقد الأول من القرن السادس (11 م) بعد أن استكمل تكوينه الأولي بالمنطقة. وحيث إننا توصلنا إلى أن صاحب الترجمة كان مستقراً بإفلاس منهمكاً في تنفيذ مشروعه على الأقل منذ سنة 560 هـ. فإننا نقدر أن أبا داود أمضى العقد الثاني من حياته لاستكمال التكوين الثاني بدءاً من قرطبة إلى الالتحاق بفاس. ونفهم من عبدالحق البادسي أن المدة التي قضاها بالأندلس المرابطية أطول من التي قضاها بفاس. لكننا من جهة أخرى نجهل كل شيء عن هذه المرحلة الدراسية.

ومعرفتنا بزيارة أبي داود لفاس أفضل، رغم ما هي في حاجة إليه من التوضيح. فرواية البادسي تشير إلى اتصال أبي داود بأبي مدين الغوث، دفين العباد من تلمسان. والواقع أنه يخامرنا الشك فيما بلغنا عنه في هذا الصدد، في وقت نبحث فيه عن تاريخ ذلك الاتصال.

فأبو مدين المولود عام 520 هـ، قصد مدينة فاس في منتصف القرن السادس لنفس الغاية التي ساقت الشيخ أبا داود، وهو أكبر سناً منه. استخلصنا تاريخ وجود الرجلين من شيوخ أبي مدين : الدقاق المتوفى في منتصف القرن، وعلي بن حرزهم المتوفى عام 559، وأبي يعزى المتوفى سنة 561 هـ. فالظاهر من هذا أن أبا داود كان بفاس خلال العشر سنوات الأولى من النصف الثاني من القرن السادس الهجري، أو قبل ذلك بقليل. نقول هذا لأن أبا مدين غادر فاساً في آخر تلك المدة المقدرة متوجها إلى المشرق ولم يعد إليها بعد ذلك. كما أن أبا داود كان ببلدته حوالي سنة 560 هـ، مثلما سنراه.

والسؤال الذي نطرحه، ألم يكن من الأوفق أن نقول إن أبا داود قد اكتفى بربط صلاته مع أبي مدين والتتلمذ جنباً إلى جنب على شيوخ فاس المعاصرين ؟. فهذا مما اشتبه على حفيده عبد الرزاق في آخر القرن السابع، حين ذكر أنه شيخه، وهذا يؤدي بنا إلى نفس ما قيل عن اقتباس أبي داود طريقة في التصوف عن دفين العباد، إذ أن صاحب الترجمة لم يعد إلى الاتصال بعد فاس برفيقه أبي مدين. فحين أدركته الوفاة عام 578، كان أبو مدين لا يزال بالمشرق، ولم يصل بعد إلى بجاية التي استدعاه منها يعقوب المنصور الموحدي في آخر عمره.

ونفس الاعتبارات هي التي تسمح لنا باعتقاد أن أبا داود كان بمدشر إفلاس قبل عام 560. فقد كانت أمامه ثمان عشرة سنة فقط لتأسيس أول مركز لتصوف الريف الشرقي.

ومن أجل ذلك لم يلبث أن أقنع جاره الورتردي بالتنازل عن مساحة بناء المسجد الذي أصبح رابطة بعد إضافة مرافق أخرى بمساعدة ما توصل به من مساعدة الصالحين.

شيدت الرابطة في مكان قريب من البحر بين مدشري الساحل والحديد الحاليين، عند نقطة خروج مجرى سيل منحدر من منتصف السفح الغربي البارز من جبل إيگار أفاضيس. ووجد بجوار الرابطة منبع ماء في آخر المنحدر المتصل بشاطئ صغير من ساحل تغلال.

اعتكف أبو داود في رابطته الجديدة، التي سرعان ما جلبت إليه عدداً من الطلبة الذين استحقوا من البادسي اسم الصالح المتعبد الزاهد والمجد الفاضل، وغير تلك الأوصاف. كان منهم التمسمانيون : مركاب بن عيسى البلندي، وإسماعيل بن سيد الناس، ومحمد بن دوناس، وإبراهيم بن عيسى، ثم البقويي الحاج حسون الأدوزي. وهؤلاء هم الذين ساعدوا أبا داود على تثبيت مكانته في مرتبة الصوفية بالمنطقة، بما أحدثوه من المراكز الدراسية الثانوية وبما بلغوه من درجة الصلاح.

وليس هناك أي صعوبة في اكتشاف طريقة الشيخ أبي داود الصوفية، إذ أنها بسيطة وخالية من التعقيدات المذهبية، قائمة على استحقاق أكبر قدر من سمات الصلاح والفلاح، بواسطة المبالغة في ممارسة الشعائر الدينية، والزهد في مباهج الدنيا وتقديم الخدمات الاجتماعية للغير.

اهتم أبو داود بالنظر في مصير الرابطة بعد وفاته. ويظهر أنه لم يخلف سوى ذكرين. ولم يكن راضياً عن ابنه يوسف الذي لم يقتف أثره في الصلاح. أما ابنه عيسى فقد توفي في شبابه، بعد عام 560. وبذلك التمس رجاءه في إعداد حفيده إبراهيم، الذي تولى تسيير الرابطة منذ سنة 578 هـ، إثر وفاة جده أبي داود، وعمره آنذاك ثمان عشرة سنة.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 50 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 9 ؛ خريطة طبوغرافية، 1935.

حسن الفگيگي

التَّمْلي، أسر من قبائل شتى تسكن حول حوض أمَّلْنْ الكبير بالأطلس الصغير شمالي مركز تافراوت، وتنتسب إليه على غير قياس. وتكتب أحياناً ممدودة بالفتح (التاملي) وبالكسر (التيملي) والنسبة الأقرب هي التَّمْلي - بفتح التاء دون مد - وأشهر قبائل أمّلن : أگْنْسْ وأسيفْ (داخل الواد) أفْلاً واسيفْ (فوق الواد) إداوْميلْكْ، تاهالا، تيزخت، تودما. وقد فضلنا أن ننسب مباشرة إلى القبائل الثلاث الأخيرة، تبعاً للاستعمال الغالب في كتب التراجم، وإن كانوا جميعاً في عداد التمليين. وتجب الإشارة إلى أن التمليين نجُب منهم في العصر السعدي عدد وافر من الفقهاء والأدباء والقواد تولوا مناصب سامية في دولة الشرفاء، سواء في حاضرتهم الأولى المحمدية (تارودانت) أو في بلاط مراكش، أو فاس دار مقام ولي العهد. وكذا في مختلف الأقاليم التي امتد